

أحاديث رمضان ١٤٣٧ . درر ٢ . الحلقة الرابعة والعشرون : الحقوق المتبادلة بين المعلم والطالب ،
التعليم رسالة ، المعلم مربي .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٦-٠٦-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛

ربوا البنين وهذبوهم واجعلوا دور العلوم رحيبة الساحات
فلرب مدرسة تشاد فتهدم السجن الرهيب وتقشع الظلمات
إهمال تربية البنين جنائية عادت على الآباء بالويلات

كيف نظم الإسلام العلاقة بين المعلم والطالب ؟ ما حقوق وما واجبات كل منهما تجاه الطرف
الآخر ؟ كيف لخص النبي صلى الله عليه وسلم من بعثته فقال :

((وإنما بعثت معلماً))

[الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

لنتابع هذا اللقاء الطيب الي يتحدث عن قيم الإسلام في التعامل بين المعلم والطالب .
بسم الله ، الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال
وجهك ، ولعظيم سلطانك ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .
أخوتي الأكارم ؛ أينما كنتم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ونحن في مستهل حلقة جديدة من
برنامجكم درر ، اسمحو لي أن أرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، السلام عليكم أستاذنا
الكريم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم حلقة اليوم تتعلق بقيم الإسلام في التعامل بين المعلم والطالب من جهتين ، من جهة
الطالب ومن جهة المعلم ، قبل أن نبدأ بهذه القيم يقول النبي صلى الله عليه وسلم ملخصاً الهدف
من بعثته :

((وإنما بعثت معلماً))

[الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين .
ما من مرتبة عند الله تعلق على مرتبة التعليم ، لأنها صنعة الأنبياء ، وكما تفضلت قبل قليل ، قول النبي صلى الله عليه وسلم :

((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ))

[مالك عن بلاغ مالك]

أولاً : هناك حرفة مقبولة لغيرها ، هناك عمل شاق في الشتاء ، البئاء ، برد ، ومطر ، وتلج أحياناً ، وهواء لا يحتمل ، يقف ويتابع بناء هذا المسكن ، هذا عمل متعب ، لكن يوجد عمل مجزئ لذاته ، أي إنسان يحب المطالعة حباً جماً ، عيَّاه أمين مكتبة ، وجد نفسه ، أنا أقول : التعليم وحده حرفة مجزئة لذاتها ، أنت حينما تدخل إلى صف ، و هناك طلاب شباب ، هذا الشاب يتلقى توجيهاً صحيحاً من المعلم ، يبين له القيم والمبادئ الصحيحة ، يغرس في نفسه هدفاً كبيراً ، يجعله إنساناً في مستوى إنسانيته ، هذا عمل عظيم ، إن هذا العمل هو صنعة الأنبياء ، وهو مجزئ لذاته ، أي المعلم إذا ألقى الدرس ، وكان هناك تفاعل كبير مع الطلاب ، وعلم يقيناً أنه ترك أثراً إيجابياً في نفوس هؤلاء الصغار ، من هم هؤلاء الصغار ؟ هم رجال الغد ، وقد يكونون قادة ، كنت مرة في زيارة لبلدة في محافظة درعا ، دخلت إلى مسجد في إزرع ، رأيت فيه طلاباً صغاراً يصلون مع معلمهم ، ألقيت فيهم كلمة قلت لهم : أحد أكبر علماء المسلمين ترك ثلاثمئة مؤلف ، وكان علماء المسلمين عالية على كتبه ، هو ابن القيم الجوزية من إزرع ، فأنا حينما أنتبه إلى طفل قد يكون عالماً كبيراً ، قائداً شجاعاً ، مصلحاً اجتماعياً ، العظماء كانوا صغاراً ، فنحن إذا اعتنينا بالتعليم ، اعتنينا بمستقبلنا ، اعتنينا بأنفسنا .

فذلك أنا لا أجد عملاً يرتقي حتى يقترب من صنعة الأنبياء ، لكن بالمقابل لا أجد عملاً يقترب من صنعة الأنبياء تارة ويهبط إلى مستوى ألا يستحق صاحبه إلا ابتسامة ساخرة كالتعليم .
بين أن يكون رسالة وبين أن ترتزق به ، إذا ارتزقت به فهو في خسارة كبيرة جداً ، أما إذا كنت صاحب رسالة ، مرة وزير التربية قال كلمة دقيقة ، قال : إذا أردت أن أدعو للإنسان كي يكون أسعد إنسان أدعو له أن يكون معلماً ، وإن أردت أن أدعو على إنسان ليكون أشقى الناس أدعو عليه أن يكون معلماً . بين أن تحمل رسالة وبين أن ترتزق بالتعليم !! لذلك الإمام الشافعي يقول :
لأن أرتزق بالرقص أفضل من أرتزق بالدين .

فبين صاحب رسالة له هدف أن يبني الأطفال بناء صحيحاً ، بناء إيمانياً ، بناء أخلاقياً ، بناء علمياً ، بناء نفسياً ، بناء اجتماعياً ، بناء جنسياً .

الأستاذ بلال :

النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها ، حتى الحوت في البحر ، يصلون على معلم الناس
الخير))

[مجمع الزوائد عن أبي أمامة]

لماذا ؟

من عظمة هذا الدين استمرار أثر الأعمال الصالحة إلى يوم القيامة :

الدكتور راتب :

لأن هذا الإنسان تطعمه فيشبع ، بعد حين يجوع ، انتهى أثر إطعامه ، يسكن في بيت بعد ذلك يموت ، انتهى الأثر ، أما إذا علمته وعرفته بربه فالأثر مستمر ، لأن هذا المتعلم سيعلم ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

[سورة الطور: ٢١]

فهذا الذي علمته سيعلم أولاده ، والأولاد يعلمون أولادهم ، فهذا العمل يستمر إلى يوم القيامة ، وهذا من عظمة هذا الدين ، الإنسان إذا اتبع الهدى ونقل هذا الهدى إلى من حوله يستمر هذا العمل إلى يوم القيامة .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم قلتم كلمة لطيفة ، التعليم عندما يكون رسالة يكون أسعد عمل يقوم به الإنسان ، كيف يقبل المعلم التعليم من حرفة إلى رسالة ؟

التعليم مهنة مقدسة ورسالة عظيمة :

الدكتور راتب :

الحقيقة الكلمة الدقيقة جداً إذا سألتني : من هو أسعد الناس ؟ أقول لك : الذي يسعد الناس ، ونحن إذا ذكرنا النبي صلى الله عليه وسلم نقول : أسعدنا ، وعلى أسعدنا محمد ، فأنت حينما تسهم في بناء هذا الإنسان بناء صحيحاً ، بناء عقدياً ، بناء سلوكياً ، بناء نفسياً ، بناء اجتماعياً ، أخلاقياً ، جسماً ، هذا الإنسان بني بناءً صحيحاً ، فهو ومن جاء بعده في صحيفة هذا المعلم ، أنا أرى أن التعليم صناعة الأنبياء ، لكن أنا أذكر أخوتي المشاهدين إياك أن تتخذ التعليم حرفة ، اتخذ التعليم رسالة ترقى بها إلى أعلى عليين ، والمعلم حينما يحمل رسالة فأنسب مهنة وأنسب حرفة لأصحاب الرسالات هو التعليم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم الدعوة إلى الله تتدرج في التعليم ؟

الدكتور راتب :

طبعاً ، وحيثما ورد في القرآن الكريم العلم هو العلم بالله ، أنت إذا علمت هذا الإنسان وعرف الله سعد في الدنيا والآخرة وأسعد غيره .

الأستاذ بلال :

إذا الدعوة إلى الله أيضاً ضمن رسالة التعليم .

الدكتور راتب :

لذلك أقول : ما من شيء يندذب بين أن يرتقي إلى مستوى صنعة الأنبياء أو أن يكون عملاً تافهاً لا قيمة له كالدعوة إلى الله ، لذلك بين أن ارتزق بها وبين أن أحمل معها رسالة إلى الآخرين .

الأستاذ بلال :

هل هناك دعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ؟

التعاون أساس الدعوة إلى الله عز وجل :

الدكتور راتب :

والله هذا السؤال دقيق جداً ، بالمناسبة الدعوة إلى الله دعوتان ؛ دعوة إلى الله خالصة ، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاتباع . اتبع لا تبتدع ، اتضع لا ترتفع ، الورع لا يتسع ، أما الدعوة إلى الذات فمن خصائصها الابتداع ، تبتدع حتى تتميز ، تقول : أنا الوحيد ، فبين الابتداع والاتباع كما بين الإخلاص وعدم الإخلاص .

الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها التعاون ، والدعوة إلى الذات أساسها التنافس ، فالدعاة إلى الله فيما أرى أن هناك دائرة فيها جميع الدعاة إلى الله ، كل هؤلاء الدعاة معهم الحد المعقول من كل فرع من فروع الدين ، لكن هذا تفوق في التفسير ، هذا في الحديث ، هذا في السيرة ، هذا في الفقه إلى آخره ، هذه المثلثات تفوق كل واحد هي فيما بينها متكاملة ، فالإنسان حينما يكون ضمن المجموع يتعاون .

لذلك أنا أقول دائماً : هناك من يتوهم الإسلام خطأً رفيعاً فإذا خرجت عن هذا الخط ميلماً واحداً يتوهم أنك خرجت من الدين ، أنا أرى الإسلام شريطاً عريضاً فجميع الدعاة ضمن هذا الشريط ، هذا أخذ أسلوباً دقيقاً ، و هذا أخذ أسلوباً تساهلياً ، هذا كان بالتفسير ، هذا بالحديث ، أنواع ، هذه الأنواع متكاملة فيما بينها .

الأستاذ بلال :

ما دامت العقيدة والسلوك .

الدكتور راتب :

العقيدة صحيحة والسلوك صحيح ، اختصاصاتهم ، ما الذي يصحح إن توهم عالم التجويد أن الدين كله تجويد ؟ هذا غلط ، يتوهم المفسر أن الدين كله تفسير ، هناك تفسير و تجويد وسيرة وأحاديث وتاريخ .

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم وأحسن إليكم ، وأنتم أخوتي الكرام ما زال في حديثنا عن قيم الإسلام في التعاون بين المعلمين والطلاب شيئاً جديداً نتابعه بعد الفاصل .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ عدنا من جديد لنتابع قيم الإسلام في التعاون بين المعلمين والطلاب وكيف رعاها الإسلام .

أستاذنا الكريم ؛ قبل الفاصل كنا قد انتهينا أن التعليم مهنة مقدسة ، وهي رسالة عظيمة لمن أراد أن يجعلها رسالة وفق ما تفضلتم به ، الآن أستاذنا الكريم وأنتم لا يخفى عليكم ذلك ، كنت معلماً ومازلت معلماً ، ولك تجربة طويلة في ميدان التعليم ، اليوم يدخل المعلم إلى الصف وكأنه في معركة مع الطلاب - صياح وضجيج وشغب - ويصل به الأمر إلى الضرب لا يجد نفسه في غرفة الصف ، أريد بعض التوجيهات والنصائح في هذا المجال .

توجيهات و نصائح للمعلمين :

الدكتور راتب :

والله حينما يعتني المعلم بطلابه عناية فائقة ، حينما يعلمهم شيئاً ثميناً ، يحترمونه احتراماً بالغاً ، دائماً عدنا قاعدة : اتهم نفسك قبل كل شيء ، إذا كان هناك ضجيج ، و لا يوجد انتباه ، يكون الدرس فارغاً ، لا يوجد عناية ، و لا تحضير ، و لا إتقان ، أما الدرس المتقن المحضّر سابقاً فممتع ، فيه أشياء لطيفة ، فيه حركات متوازنة من المعلم ، فيه توضيح، فيه ملخص ، فيه شجرة على السبورة ، الطالب أكبر ناقد ، إن رأى هذا الدرس محضراً تحضيراً جيداً وفيه أشياء جيدة ، المعلم أحياناً يكتفي بالكتاب ، لكن حينما يستمع الطالب من معلمه إلى قضية لم ترد في الكتاب شعر أن العلم درجات ، هناك تعليق وطرفة وبيت شعر وحكمة وقصة قصيرة ، ما دام فيه تنويع ، دائماً عندما يكون هناك تنويع يكون هناك التفات ، مثلاً القرآن الكريم ترى فيه قصة ، أمراً ، نهياً ، مثلاً ، تنوع الأساليب تعمل شداً للإنسان ، أما الشيء الرتيب الممل ، حتى تلوين الصوت له أثر ، حتى المعاملة الطيبة ، حتى الفكاهة ، فالتعليم فن، المعلم إذا أتقن حرفته تتعدم : المشاكل عنده ، تصدق يقول لك : أنا لي ثلاث وثلاثون سنة في التعليم لا يوجد طالب أزعجني إطلاقاً ، لأنك تقدم له شيئاً ثميناً .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم كنتم تذكرون دائماً أن المعلم إذا اكتفى بإعطاء المعلومات فقط ولم ينتبه إلى الطلاب، لحالتهم الاجتماعية ، لفرهم ، لوضعهم ، هذه مشكلة ، لا يستطيع أن يتجاوب معهم بالشكل الصحيح .

التعليم تربية و مسؤولية ودعوة إلى الله :

الدكتور راتب :

هو صار متحدثاً فقط ، المربي شيء آخر ، مثلاً تجد طفلاً وظيفته سيئة جداً ، قد تكون أمه مطلقة ، أو هندامه سيئاً ، فإذا عرفت أن عنده مشكلة وعالجتها ، أنا مرة كان عندي طالب لم يكتب وظيفته ، يعمل بالفرن للساعة الثانية عشرة ، والده متوفى ، وهو يعمل لتأمين قوت أخوته وأمّه ، أنا أعطيته علامة تامة لأنني أريد أن أشجعه ، لأنه يعمل بحقلين اثنين لكسب رزق أخوته ويداوم في المدرسة ، فحتاج إلى قلب كبير ، المعلم يفهم القصة مثلاً هذا الطالب ضعيف بالإعراب ، أنا أكتب على دفترتي : فلان ضعيف بالإعراب ، أبين له ، أذكر معلماً عنده طالب ضعيف جداً في اللغة ، فأعطاه بيت شعر قبل أن يعطيه للطلاب بيوم و علمه إعرابه ، و في اليوم الثاني قال له : جهز نفسك ، كتب البيت على السبورة وسأل الطلاب وقال له : أنت أعرب لي هذا البيت ، فعربه ، أعطاه ثقة بنفسه ، وصار متفوقاً بالمادة ، فالتعنيف والتوبيخ وكلمة غبي أنا أقول : هذه بحق الطلاب جريمة ، أما إذا بينت له ، وأعنته على تجاوز الأزمة تكون قد خدمته ، التعليم تربية ، والتعليم قرية إلى الله ، والتعليم مسؤولية والتعليم دعوة إلى الله .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم وهذا يقود إلى قضية مهمة في التعليم وهي مراعاة الفروق الفردية أي النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف أصحابه يقول : أعلم أمتي بالحلال والحرام ، أمين هذه الأمة ، أفرضهم ، كان يميز بين أصحابه ويخاطبهم كل على واقعه وحاجته .

ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب :

الدكتور راتب :

أنا درست في الجامعة أن مراعاة الفروق الفردية في التعليم لها دور خطير جداً ، هناك طالب جزئي يحفظ تفاصيل كثيرة ، وهناك طالب كلي ، الكلية مطلوبة والجزئية مطلوبة ، إذا كان الطالب يهتم بالكليات لا الجزئيات ، يجب أن تحترم هذا التميز ، وأن تراعي أنه لا يدقق بالتفاصيل الصغيرة ، أما إذا أنت عندك مقياس متنوع واسع فهناك مشكلة كبيرة ، أنا أعرف أن الطالب يجب أن تعرف طبيعته ، أنا حينما كنت معلماً أطلب من الطالب أن يكتب سيرته الذاتية، أعرف أن هذا أمه مطلقة ، هذا يتيم ، هذا أبوه غني ، هذا فقير ، أربط بين تقصيره وبين حاله في البيت ، وهذه نقطة مهمة

جداً ، أنت حينما تعرف حقيقة هذا الطالب قد يكون عنده وضع استثنائي ، مثلاً يسكن مع خالته زوجة أبيه ، هناك وضع ثان لا يوجد أم ، الأم لها ترتيب آخر ، حينما تعرف سير الطالب الذاتية تربط بين المظاهر السلبية بتعامله مع الطلاب وبين وضعه في البيت فتعالجه ، الحقيقة المربي مهمته كبيرة جداً فضلاً عن المعلومات التي يلقيها على طلابه ، عليه أن يلاحظ تقصيراتهم ، سلبياتهم ، ما سببها ؟ هذا لها علاقة ببيته ؟ بأمه ؟ بأبيه ؟ هذا كله يحتاج إلى معالجة ، وكلما كان سن الطلاب صغيراً نغلب التربية على التعليم ، وكلما كبرت سن الطلاب نغلب التعليم على التربية. الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم كنت أذكر من أساليبكم اللطيفة الإحسان للطلاب حتى يفهم أنك تحبه، أي حالته المادية هذا يأتي إلى المدرسة بثياب غير جيدة ، هذا الأمر لو كان المدرس بإمكانه أن يتابعه ألا يكسب محبة الطلاب ؟

كيفية العناية بالطلاب و كسب محبتهم :

الدكتور راتب :

تجربة متواضعة أنا كنت مدير ثانوية ، كنت أرسل أحد المدرسين ليقول لي مَنْ مِنَ الطلاب ثيابه ليست جيدة ، بالشتاء هناك برد قارس وثيابه رقيقة ! نكتب أسماءهم ونأتي بألبسة لهم ونعطيها لأبائهم حتى يأخذها من أبيه ، يأتي في اليوم الثاني مرتدياً كنزة ، ثياب جديدة بابا أحضر لي هذه ، لا أريد أن أشعره أنه فقير ، كنت أعطي هذه الألبسة للأباء ليقدموها لأولادهم، فالحقيقة هناك أشياء دقيقة جداً تعمل حساسية عند الطالب ، تعقده ، أتمنى أن يكون المعلم هكذا، المعلم مرببٌ ، المعلم موجه ، المعلم مرشد ، المعلم داعية إلى الله ، المعلم يبني نفوس بناء صحيحاً . الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم ومما كنتم تعتنون به وهذا أيضاً توجيه نبوي وقرآني موضوع القصة ، القصة في التعليم ما أهميتها ؟

أهمية القصة في التعليم :

الدكتور راتب :

الحقيقة كل إنسان عنده خطوط دفاع ، القصة خطورتها أنها تخترق خطوط الدفاع ، مثلاً الأب أعطى ابنه نصائح ألا يسرع بالسيارة ، مئة نصيحة لا توازي أن يرى حادثاً مروعاً ، أو أن تروي له حادثاً مروعاً ، وأن هذا الشاب الذي قاد سيارة أبيه بسرعة أصيب عموده الفقري فانشل ، القصة هي حقيقة مع البرهان عليها ، وأنا أعتمدها ، والقرآن الكريم اعتمدها مئات المرات ، فالقصة خطورتها أنه تنفذ إلى خطوط الدفاع في الإنسان ، وتبين له الحقيقة ، أما إذا ألقيتها عليه فقد لا يقبلها ،

القصة إطار أدبي رائع جداً ، فيها شخصيات والقارئ شخص ، فيها بيئة مكانية وزمانية ، فيها حوار ، فيها تحليل شخصية من الداخل ، فلذلك القصة أنا أراها أفضل طريقة للتربية .

الأستاذ بلال :

ولإيصال المعلومة إلى الطالب بشكل جيد .

الدكتور راتب :

لكن ليس كل قصة تصلح ، ممكن أن نختار واحدة من مئة بما يناسب .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل ، جزاكم الله خيراً ، وأحسن إليكم .

أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين